

جيش الإمام يحيى*

سلطان ناجي**

بعد ان انسحب الاتراك من اليمن عام ١٩١٨ ، رأى الامام ضرورة تكوين جيش نظامي من اجل ان يمد سلطته على كل البلاد ، ويقمع به ثورات القبائل المتمردة ، ثم ليستخدمه في جمع الضرائب والعشور والركوات المختلفة التي تحتاج لها دولته الجديدة .. وكان لا بد له من انشاء مثل هذه المؤسسة العسكرية على بعض الاسس المقبولة وذلك لكي يتمكن من استخدامها ايضا ضد منافسيه الجدد من ادارة وانجليز في كل من المنطقتين الغربية والجنوبية من اليمن . واما نوع القوات الامامية السابقة في العهد الغابرة بما فيها تلك التي كان يستخدمها هو نفسه في محاربة الاتراك ، فقد كانت اسبه بقوات حرب المعصابات غير المنتظمة في جيوش ثابتة .

وقد استعان الامام يحيى في تكوين جيشه بالضباط والجنود الاتراك الذين تخلفوا في اليمن . فقد وافق حوالي ثلاثمائة ضابط وجندي تركي على البقاء في اليمن لبعض الوقت على الاقل ، ومساعدة الامام في تكوين جيشه على اسس جيش الجندرمه التركي تقريبا . وتم تكوين جيش الامام في العاصمة صنعاء حيث كانت توجد هناك بنايات ثكنات الجيش التركي المعروفة بالعرضي وكذا مخلفات الجيش التركي من الاسلحة والعتاد في قصر غمدان .

وفي معارفنا عن جيش الامام سيعتمد الكاتب ، بدرجة أساسية ، على مخطوطة نادرة وقعت في يده حول هذا الجيش . وهذه المخطوطة مجهولة

* فصل من كتاب للمؤلف ، راند في مجاله معد للنشر بعنوان :

« التاريخ العسكري لليمن الحديث ١٨٣٩ - ١٩٦٩ » .

** للتعريف بالكاتب انظر : العدد الثاني من المجلة . ص ١٩ .

الاسم والمؤلف . وهي عبارة عن ست ملازم في حجم مذكرات الجيب المتوسطة .
ويظهر ان كاتبها من كبار الاحرار ، فقد قدمت كمذكرة الى الجامعة العربية
بعد سنة ١٩٥٥ لان هناك اشارة ضمنية توحى بهذا التاريخ في الملزمة الخامسة
فهي تشير الى ان سيف الاسلام عبدالله « هو الان قد قتل بيد اخيه الامام
الحالي في ايام ثورته التي قام بها لنفسه » .

وهذه المخطوطة / المذكرة مهداة في اولها الى : « تلك النفوس الزكية
التي نبحت على عتبة الحرية وازهقت على اعمدة التور . الى تلك الارواح
الطاهرة التي قابلت الموت باسمه وصافحت المشنقة هازئه ساخرة .

الى اولئك الخالدين في الضمائر والاعماق نهدي هذا الكتاب الذي يشرح
جزءا مما تصبو انفسهم لكفاحه وجهاده .

وعاهدوا الله تعالى على دواراته وتزيقه حتى يكون برهانا على وطنيتهم
الصائقة وايمانهم الراسخ العميق وحجة على الطفافة الذين سولت شرورهم
قتل فكرة الحرية في هذه العصبة المؤمنة فزادوا بهذا العنوان — الفكر سطوعا
والنار احتراقا وتاججا » .

ومن المقدمة يتبين القصد من تأليفها ، يقول مؤلفها المجهول : « لما كان
الجيش اليمني نسيج وحده في الوضع وفريد عصره في التدهور والانحطاط .
وكنا ممن تغفل الى صميمه ، وتعمق في احواله وظروفه وخبر انظمتيه
وقوانينه . فقد سجلنا عنه بعض نقط تفوق الخيال . وانتظرنا الفرصة المواتية
لنشرها حتى وجدت للامة العربية جامعة مباركة صحيحة . لما خلقت هذه
الجامعة الجديدة وكان من جملة مشروعاتها الجيوش العربية وتوحيد تدريسيها
ونظامها ، اكتفينا بنشر الكتاب الاول وهو الذي نقدمه للجامعة . وقصدنا الاول
من نشر هذا الكتاب هو ان نعطي الجامعة صورة ماثلة لهذا الجيش الذي لا
يملك من معاني الجيوش الاخرى غير الاسم حتى تكون على بصيرة من سياسة
الخداع والاجرام التي القزمتها الحكومة المتوكلية لتمويه بها على الناس وتوهمها
بانها ترغب في تبديل الاوضاع ومسايرة الشعوب » .

ان طابع هذه المخطوطة هو طابع المنشورات السياسية خاصة وهي
موجهة ضد عدو ظالم لم تكن يداه قد جفت بعد من دماء الاحرار عندما كتبت ،
لذلك فقد احتوت على الكثير من المبالغات وطغت على اسلوبها المرارة والانتشائية
بحيث كان من الضروري التمييز بين الحقيقة والخيال واستخراج ما هو معقول
وموضوعي بشأن الجيش مع مقارنة ذلك بما اوردته المصادر الاخرى المتوفرة
لدى الكاتب وبخاصة الكتاب السري الذي قام بتأليفه قسم المخابرات البحرية

البريطانية حول المنطقة اثناء الحرب العالمية الثانية .

وكيفما كان الامر فعلى الرغم من هذه السلبيات ، وعلى الرغم من ان المخطوطة تحتوي ايضا على معلومات اخرى غير ذات علاقة بتاريخ الجيش الامامي ، كما وان تلك المعلومات العسكرية فيها قد رتبت حسب تتابع الحوادث وتاريخ وقوعها وليس بحسب ترتيبها الموضوعي ، فان معلومات هذه المخطوطة تبقى قيمة بذاتها وذلك لكونها مصدرا اوليا لتاريخ الجيش الامامي في عهد الامام يحيى على الاقل ، اما تاريخ الجيش الامامي في عهد الامام احمد فهو بحسب مقدمة هذه المخطوطة موضوع الجزء موضوع الجزء الثاني الذي لم ينشر بعد . وعسى ان تكشف الايام هذا الجزء الثاني واسم مؤلف المخطوطة ككل . فبانتهاى نظام الامامة الان لم يعد هناك مبرر للتقية .

تكوين الجيش المظفر

بعد ان ارتقى الامام يحيى العرش ، وتسلم من الاتراك القوة والخبرة ، وبعد ان انسحبت الجيوش التركية وبقيت منهم بضعة مئات من جنود وضباط واداريين بما فيهم الوالي العثماني الاخير لليمن محمود نديم بك ، عهد الامام يحيى الى كبار ضباطهم بتشكيل اول جيش نظامي ، وهو ما عرف فيما بعد بالجيش المظفر .

وأعلن الامام التجنيد والزم كل قبيلة باعداد معينة تصل في وقت محدد الى ثكنة الجيش التركي السابق في صنعاء . ثم عقد جلسات خاصة مع ضباط الاتراك وعلى رأسهم كنعان بك أبرز من بقي من الضباط الاتراك . وكان الاجماع ان يتكون الجيش على اساس النظام التركي .

وتوافدت القبائل الى الثكنة العسكرية ، وكان في استقبالهم كنعان . ونزلت القاعات الخالية من الفرش والاثاث . وبعد اسبوع تم اختيار بضعة آلاف من المجندين ، واختير هؤلاء من ثلاثة مصادر فبعضهم اختيروا من المقاتلين غير النظاميين الذين حاربوا الاتراك في صف الامام ، والبعض الاخر تم اختيارهم من بقايا جيش الجندرمه التركي اليمني الاصل ففي اواخر عهد الاتراك راينا ان هذه القوة المحلية قد اصبحت تقريبا هي العمود الفقري للاتراك في اليمن . وقد بلغ عدد افراد هذه القوة حوالي ستة الاف جندي وضابط . واما المصدر الثالث للجيش الجديد فقد جاء عن طريق التجنيد من بعض القبائل الشمالية المختارة .

وأقيمت حفلة كبيرة بمناسبة افتتاح الثكنة وتشكيل الجيش في عام ١٩١٩ . وعزفت الموسيقى التركية واستعرض الامام يحيى جيشه . ثم سلح الجيش ببنادق مختلفة الصنع من مصدرين رئيسيين هما مستودعات الجيش التركي التي قضت معاهدة الانسحاب أن يتركها الاتراك للامام ، وثانيا من المخازن الامامية التي استطاع يحيى تجميعها عن طريق الشراء أو مما غنمه من الاتراك خلال حرب التحرير اليمنية .

وقدم كل جندي كفيلا يضمن بقاءه في الخدمة المستمرة طول العمر والمحافظة على حقوق بيت مال الامام من بندقية وعتاد وملابس . وكان يجب أن يكون الكفيل من المشايخ أو الموسرين ، ولا بد للكفيل من شخص يصون كفالته ، ومعرف بمقدرة الصوان والكفيل . فاذا أسر الجندي أو سلبت بندقيته أو اذا فر من الخدمة فعلى الكفيل دفع ثمن ما بحوزة الجندي . وعينت هيئة مختارة لتقدير اثمان هذه الاسلحة في حالة فقدانها .

وتم توزيع الجنود في تلك القاعات العارية بن ثكنات الجيش التركي السابق . وتقرر لكل جندي راتب شهري قدره خمسة ريالات . وقد عين الامام يحيى الشريف عبد الله الضمين — وكان ممن حارب الاتراك مع الامام — ليكون اول امير (رئيس) للجيش المظفر . وامره بمباشرة التدريب وتعيين كنعان بك معلما للجيش .

ووزع الجنود الى سرايا في ميدان التدريب . ووضع لكل سرية معلما تركي . وكانت دروس التدريب تلقى باللغة التركية ويقوم بالترجمة الى الجنود بعض الضباط اليمنيين ممن خدموا في جيش الجندرية . والواقع ان كثيرين من الضباط اليمنيين كانوا يرسلون في عهد الترك الى الاستانة للتدريب هناك في كلياتها العسكرية ، ثم يعودون بعدها الى اليمن للعمل في الجندرية . وكان عدد من شاغلي الوظائف القيادية في الجيش أيام الامام يحيى ممن تلقوا تدريبهم في تركيا اiban الاحتلال العثماني ، أو من تدربوا في المدرسة الحربية التركية في صنعاء . وهناك ترجمات لبعض الكتب العسكرية التركية الى العربية قام بها امثال هؤلاء الضباط اليمنيين .

وقد ادى هذا التدريب نتيجة حسنة لا بأس بها بعد انتهائه وكان يمكن ان تكون النتائج أفضل في الدورات المقبلة لولا تعيين الامام يحيى السيد علي بن ابراهيم معاوننا لامير الجيش الشريف عبد الله الضمين . وكان هذا شخصا شرسا الحق اضارا كبيرا بالجيش الفتى وقلل من قيمة التعليم وفوائده ، ثم اثار العصبية ضد كنعان بك ورفاقه . وقد دفع هذا كنعان بك الى أن يكتب

تقريراً الى الامام يحيى شرح فيه نظام الجندي وطلب تصحيح الوضع واعادة الامور الى مجاريها ، وابعاد السيد علي بن ابراهيم (الذي يسميه مؤلف المخطوطة المجهول بالذئب الاسود) .

وعاد الجواب بمباشرة التدريب تحت اشراف السيد ابن ابراهيم الذي اصبح في هذه الفترة امير الجيش اليمني العام . وقد بقي في منصبه هذا الى آخر عهد الامام يحيى وباشر كنعان التدريب مره ثانية ثم رفع تقريراً آخر الى الامام حوى النقاط المهمة التي نشرت الفوضى والتمرد بين الجند ، ثم وضع نموذجاً موجزاً بين فيه نظام الجيش التركي وتعليماته وختمه بنقد الوضع من جميع نواحيه ولا سيما وضع الجندي من حيث راتبه وملابسه وغذاؤه ومسكنه ونفوره من التدريب .

وامر الامام يحيى بتشكيل لجنة ، كثير من اعضائها من رجال الدين ، برئاسة امير الجيش . وجاءت توصياتها على الشكل الاتي . بالنسبة للغذاء اوصت بتخصيص اربعة ارغفة للجندي في اليوم . ولان هذه الارغفة كانت تحتوي على نخالة الحنطة فهي معروفة في لغة الجندي اليمني بـ (الكدمه) . وبالنسبة للفراش اعطى لكل جندي حصير وفردة قطعتان طولهما متر ونصف من نسيج الخوص وصوف الجمال . وبالنسبة لتوفير قاعات الثكنات فقد اعطى لكل منها مصباح صغير من الصفيح يستوعب اوقية من الغاز (الجاز) على ذبالة صغيرة . وقد اوصت اللجنة بسد نوافذ القاعات وحصر كل سرية في قاعة واحدة تسمى (القاوش) . وكان الهدف من هذه التوصية هو حاجة الامام لزجاج ثكنات الجيش التركي السابق لاستخدامها في نوافذ قصره الجديد دار السعادة .. واخيراً كانت توصية اللجنة بمزج السرايا وتشكيلها بصورة جديدة من قبائل شتى بدلا من القبيلة الواحدة كما كان عند تكوين الجيش .

وفي هذه الفترة استطاع كنعان بك وبقيّة الضباط من الاتراك واليمنيين ان يؤسسوا المدرسة الحربية (كلية التدريب العسكرية) وبدأت المدرسة تخرج اعداداً من الضباط المدربين لا بأس بهم . وعندما رأى امير الجيش استمرار كنعان في مطالبته بتحسين حالة الجيش ، واستبدال الضباط الاميين بالضباط الذين تخرجوا في المدرسة الحربية التي كان يديرها ، امر بتجريد كنعان من رتبته وحبسه بقصر غمدان وقطع راتبه . وبعد عام من السجن كان اطلاقه بعد شفاعات ومذكرات من الحكومة التركية ، شريطة نفيه . فغادر اليمن ، وكان ما اراده الامام .

وفي عام ١٣٥٠ هـ (١٩٣٢ م) استجلب الامام يحيى معلماً جديداً (محرباً)

للجيش من سوريا هو حسن تحسين باشا الفقير . وكان قد خدم في الجيش التركي عندما كانت سوريا تابعة للاستانة . وبعد ان قضى عدة اعوام اشتبك مع امير الجيش الامامي ، فطالبه الاخير بتسفيره وتم تسفيره بالفعل .

ثم عاد الامام يحيى ، وبخاصة بعد الهزائم التي تعرض لها جيشه ، في بداية الثلاثينات ، يفكر باستجلاب مدرب جديد للجيش من تركيا فكتب الى تركيا يبرر قضية طرده كنعان الى ان قال :

والان وباسم الدين والروابط الوثيقة نترجاكم ارسال ضابط متزن عاقل ليقوم بما كان يقوم به كنعان . فارسلت له تركيا العقيد (تريابك) . وكان اول عمل قام به تريابك بعد وصوله صنعاء هو تفقده الثكنة العسكرية والقاء نظرة على الجنود في القاعات التي يسكنون بها ، ثم دراسة نظام الجيش وسير تدريبيه . ورفع تقريراً الى الامام وكانت اهم نقطة في تقريره هو نقده التدريب باللغة التركية وايضاؤه باستبداله باللغة العربية . ثم فتح معهدا لتعليم الضباط وشكل فوجا نموذجيا وسرية استحكام وسرية مخابرة . وكالعادة اصطدم (تريابك) بأمر الجيش السيد علي بن ابراهيم فدفعه ذلك الى تقديم استقالته ومغادرة اليمن .

وفي منتصف الثلاثينات استجلب مدرب جديد للجيش من سوريا وهو أركان حرب مصطفى وصفي باشا . وقد حاول اصلاح الجيش وتدريبه بالطرق المعقولة والاساليب الصحيحة . ولما كان مجيؤه بعد هزائم الجيش المظفر أمام القوات البريطانية ، فقد كتب مصطفى باشا الى الامام قائلاً : اذا كانت الحكومة تنوي خلق جيش قوي ليتماشى مع العصر الحديث ويحافظ على استقلال البلاد والامة فإنه يجب تسريح الجيش الحاضر وتشكيل جيش آخر من أبناء العشائر الذين لم يسبق لهم الخدمة في الجيش ، ومنع الرشوة ومكافحتها مع زيادة الرواتب ، وتحسين حالة الضباط والجنود والكتاب (الكتبة) . ثم اضاف : **ويجب ان يتولى تدريب الجيش ضباط متعلمون من خريجي المدرسة الحربية بعد تزويدهم بالعلوم النافعة والتربية الصحيحة حتى ولو اضطرت الحكومة الى ان تستعين بالحكومات العربية في هذا المضمار .**

وفي نفس الوقت الذي قدم فيه مصطفى باشا مثل هذه التوصيات الجزرية ورفع فيه التقارير من أجل الفاء حق المأمورية (سنتكلم عن هذه الامة فيما بعد) ، استجلب الامام من جديد حسن تحسين باشا الفقير السوري الاصل ، مدرب الجيش الاسبق الذي خرج مطروداً من اليمن من قبل . لقد كان تحسين باشا شخصاً انتهازياً مراوغاً . فبعد تسفيره من اليمن في المرة الاولى قام يدبج

المقالات وينشرها حول اليمن ، وكلها تكيل المديح للإمام ولاعماله العظيمة من أجل الشعب اليمني . ونتيجة لهذه المقالات المتزلفة طلب ولي العهد سيف الاسلام أحمد من أبيه أن يعيده الى اليمن ليقوم بتدريب الجيش . ولهذا كان وصوله في الوقت الذي كان يوجد فيه مصطفى وصفي باشا . وكان من الطبيعي أن يصطدم الشخصان ، وتحدث الازدواجية في العمل . فرفع مصطفى وصفي باشا استقالته وحذر الامام من تحسين باشا ومن جهله وأنتهازيته ، فأمر الامام باجتماع الاثنين للمفاهمة والمشاورة . ولما لم يتوصل الاثنان الى نتيجة غادر مصطفى وصفي باشا اليمن وبقي حسن تحسين باشا . وقد قدرت اعداد الجيش النظامي (الجيش المظفر) في عام ١٩٣٨ بحوالي (٢٥٠٠٠) جندي . الجيش الدفاعي (او ميليشيا الامام) .

ويظهر أن فكرة مصطفى وصفي باشا بتسريح الجيش المظفر وتكوين جيش جديد بدله لم يقبل بها ، وانما ووفق على أن يتم انشاء جيش جديد بجانبه هو الجيش الدفاعي أو الميليشيا . وقد وضع تصميم جيش الميليشيا حسن تحسين باشا . وكانت الفكرة هي أن تفرض الخدمة الاجبارية على جميع القادرين في البلاد وتدريب الامة على الجندية بحيث أنه في كل دورة تستمر ستة أشهر يتم تدريب ربع الشباب من كل لواء . وهكذا الى أن يتم تدريب الجميع . وبعد مضي ثلاثة أعوام تتم اعادة تدريب الجميع بنفس الطريقة السابقة . وقد التزم تحسين باشا بتدريب المجندين على الطريقة الالمانية .

وأمر الامام ببناء ثكنة عسكرية خارج صنعاء ، اغتصبت بقعتها من الرعية . وسخر الالوف من الجيش النظامي في بناء الثكنة . وقسمت الثكنة الى أربعة أقسام في كل قسم قاعة طولها مئتا متر مع أماكن للضباط والكتبة وامارة الجيش . وبالطبع فالفرق كبير بين هذه الثكنة المتوكلية وثكنة الجيش التركي التي يقيم فيها الجيش النظامي .

وبعد بناء الثكنة نفذ الجيش النظامي على الرعية لوصول الدور الاول من الدفاع وقهر الرعية على تسليم ابنائهم . « وحشدت الالوف من أبناء الرعايا المكثوبين وامتلأ صندوق البذل النقدي الموضوع في المقام بالدراهم الكثيرة التي سلمها العاجزون وأصحاب العاهات بدلا عن خدمتهم . وكان قدر البذل على الشخص مئة ريال . واقبمت حفلة افتتاح الثكنة . وجرى تدريب الدفعة الاولى في المدة المعينة . وتحدد يوم لمانورات الميليشيات حوالي ميل خارج صنعاء في الجهة الشمالية الشرقية منها ..

وانقسم الجيش الى قسمين واشتبكت الحرب بينهما ، حرب الغبار

والاصوات المفزعة التي تصبح بالتهليل والتكبير وتقوم بالكر والفر . وكانت الجنود ترمي الغبار في الهواء بقصد الاحتجاب عن العدو . وبهذا التدريب الذي سر المشاهدين أنعم الامام على تحسين باشا برتبة عسكرية عالية وضاعف راتبه . اما راتب المجند فكان أربعة ريالات .

ويقول مؤلف المخطوطة المجهول ان المقصود من وجود هذا الجيش قد عبر عند المقام (القصر) بقوله : « انه لم يقصد به شيئا سوى الاشتغال بالقبائل المنشقة حتى لا يعود فيهم التمرد الاول الذي اقلقوا به الامن » . وقد رأينا بالفعل أن جيش الامام النظامي خلال الفترة (١٩١٩ - ١٩٣٣) كان تقريبا مشغولا بقمع التمردات القبلية في كل جهات اليمن . وقد تم تكوين هذا الجيش الجديد في منتصف الثلاثينات بعد أن اخمدت جميع التمردات القبلية تقريبا . ولا شك في أن هناك باعنا اخرًا لانشائه وهو شعور الامام بعجز جيشه النظامي امام التدخلات الاجنبية التي تعرض لها حكمه في النصف الاول من الثلاثينات .

ومن حيث تنفيذ مشروع الميليشيا هذا ، فقد انزل المصائب بالناس لانه عند تنفيذ المشروع كان الامر الذي صدر للعمال عاما . فنفذوه بحذافيره دون ان يفرقوا بين الصغار والكبار والشيوخ وأصحاب العاهات . وقد فتح هذا التطبيق باب الرشوة . ولما بادر الشباب والكهول والصغار للتدريب في صنعاء احتارت شعبة الجيش في تقرير الراتب الذي يجب اعطاؤه للجنود الصغار . فتقرر ريان للصغار وأربعة للكبار .

تضمن قرار تكوين هذا الجيش أن يعين العمال ضباطا وضباط صف للتدربين الذين يختارون من الويتهم . وهذه النقطة فتحت للعامل ورئيس الشعبة وكتبته باب الرشوة على مصراعيه ، وذلك انه عند اختيار دفعة التدريب من اللواء يتسابق ابناء المشايخ والموسرين بالرشوة فيقدمونها لعامل القضاء حتى يعين منهم الضباط وضباط الصف . وعلى هذا الاساس يصدرهم العامل الى امارة جيش الدفاع . والحقيقة انه لا فرق بينهم وبين الجنود الا في الاسم وزيادة بسيطة في الراتب مقدارها ريان للضباط وريال لضابط الصف .

كذلك فان امر التجنيد العام هذا جعل بعض الموسرين يتهربون من الجندية ، ويستأجرون بعض الفقراء ليقوموا بالتدريب بدلا منهم بعد أن سموهم بأسمائهم . وقد وجد بعض الفقراء هذه الطريقة وسيلة لاكل العيش ، يتدربون مرة باسم فلان ومرة باسم علان . ولما تكشف الامر استدعي اولئك الذين تهربوا من التدريب ، فغرموا ثم دربوا ثم اخذوا قسرا جنودا دائمين في الجيش المظفر .

وتظهر كراهية المواطنين لجيش الدفاع من اللقب الساخر الذي أطلقوه على الجندي المنتسب اليه . فقد كانوا يطلقون على كل جندي يلتحق بجيش الدفاع (علي فنيلة) وذلك لان السيف عبد الله بعد أن رأى كساد بيع الفنيلات التي كانت تنتجها المدرسة الصناعية ، أمر ببيعها على أفراد جيش الدفاع . وقد أطلق اسم علي فنيلة تندرا بالمعركة الكبيرة التي كانت تحدث بين الجندي وبين الفنيلة عند ارتدائها وحيرته عند حك البراغيث لجسمه كيف يدخل يده لحكها والفنيلة ملتصقة بلحم جلده .

وقد مضى تحسين باثا حوالي عشرة أعوام وهو يقوم بتدريب الألوف من الجنود وكلما انقضت دورة اعقبها دورة أخرى . وفي كل دورة كان يدرب حوالي (١٥٠٠٠) شخص .

وعند بداية الحرب العالمية الثانية ظن الامام — خاصة بعد اخذ الانجليز شبة — أن الفرصة مواتية لغزو بعض المحميات ، فأرسل خمسة الاف من الجيش الدفاعي الى تعز ليكونوا على مقربة من الحدود . وقد حصروا هناك في القاعات الضيقة ، وواجهوا صعوبات جمة . وظلوا يقومون في تعز بالتدريبات والاستعراضات الاسبوعية . وفي الاخير قضى الكثيرون منهم نحبهم بسبب هذه التدريبات المضنية والجوع والامراض التي تفشت بين صفوفهم ، وقبروا في مقبرة خاصة بهم خارج اسوار مدينة تعز .

الجيش البرانسي

يتكون هذا الجيش من أفراد القبائل الذين لا يرغبون في خدمة الجيش المستمرة وينفرون من قوانينه وتعليماته وتدريباته . وله تعليمات خاصة لا تتصل بتعليمات الجيش النظامي الا في مسائل التنفيذ والمأمورية والخطاط التي سنتكلم عنها فيما بعد .

والجندي المنتسب الى هذا الجيش يشترط عليه شراء البندقية والعتاد لنفسه . وهو حر في شرائها من أي نوع أو طراز . والعريف والشيخ المنتسب اليه الجندي هو الذي يتصرف في أموره ويدير شئونه . وقد بلغ عسدد هذا الجيش حوالي (٥٠٠٠٠) وكان أميره اسمه السيد محمد بن احمد هاشم . والغرض الاول من وجود هذا الجيش هو من أجل منافسة الجيش النظامي . . فقد كان الامام يحي لا يريد جيشا نظاميا قويا وفعالا وذلك حتى لا يتقلب ضده . وعلى الرغم من فائدة وجود جيش نظامي فقد قضت سياسته في أن يبقى مثل هذا الجيش في حالة ضعيفة . لقد كان يعتمد على القوات القبلية أمثال

الجيش الدفاعي والجيش البراني هذا . وقد كون الامام يحي الجيش البراني بقصد التضاد والمنافسة مع الجيش النظامي ، لان البراني يعتبر الاصل في نظره . فهو الجيش الاصل الذي عاصر جميع الائمة ووقف في الحروب الى جانبهم ، لذلك كانت له الاسبقية .

واقدم نص يصف مثل هذه القوات الامامية التقليدية في العصر الحديث هو وصف الرحالة نيبور لها في عهد المهدي عباس عام ١٧٦٢ وذلك قبل اكثر من مئة وخمسين عاما من حكم الامامي يحي ومن جيشه البراني . حيث يقول: « يحتفظ الامام بقوات من الجنود لم استنطع معرفة اعدادها بالضبط ، الا انه يعتقد بانها تبلغ حوالي اربعة الاف من المشاة ولف من الخيالة جند معظمهم من حاشد وبكيل .

والرؤساء الاربعة لهذا الجيش هم مشائخ همدان ووادعة وسفيان وخولان . وبجانب هؤلاء الضباط العموميين الاربعة نوي الانساب المألية يوجد هناك ايضا نقيب كثير من هم ادنى نسبا وبعضهم كانوا عبيدا في شبابهم . ووظيفة نقيب هي اعلى مرتبة يمكن ان يمنحها الامام . اما مرتبة شيخ فلا تقتاتي الا بالنسب .

وفي اوقات السلم فان جندي الخيالة لا يكون لديه عمل سوى رعاية حصانه او مرافقة الامام او الدولة (يعني امير اللواء) الى المسجد . اكان ذلك في صنعاء او الالوية . والمشهور عن العرب عنايتهم بتربية الخيول . ولكل حصان سائس خاص به . وبعد مرافقة سيدهم من المسجد الى البيت يقوم رجال الخيالة بتمريناتهم التي هي عبارة عن ركوب كل واحد بعد الاخر في صف ثم العدو بسرعة ورماحهم مسددة . ولان الليالي قارسة جدا في اليمن فالملابس دائما ما توضع على ظهور الخيول فيما عدا اوقات الركوب .

ومعظم الذين يخدمون في فرقة الخيالة لديهم وظائف مدنية في اوقات السلم . اما اسلحتهم فهي الرماح وسيوف المبارزة . وبعضهم يحمل المسدسات في قراب السروج . والجميع لا يعرف شيئا عن الملابس الرسمية وكل واحد منهم يلبس ما يروق له .

وجنود المشاة هم ايضا بدون عمل . وبعضهم يقف في بوابات المدن . والعامل كالامام يرافقه الحرس من المشاة الى المسجد جنوبا وضباطا بدون تمييز . ويتقدمهم دائما اربعة اشخاص مسلحين يقومون بحركات غريبة . وعند عودة الدولة من المسجد يحيونه باللعب غير منتظمة من الفروسية .

وهذه هي كل التمرينات التي يقوم بها جنود المشاة .

وهم أكثر سوءا من جنود الخيالة من حيث ملابسهم . ومعظمهم يلبسون قطعا من القماش حول خصيرهم ، ويضعون مشدات حول رؤوسهم ، والبعض منهم أفضل ملبسا ، ولديهم كوافي زرقاء من القطن وقمصان .

والجنود اليمينين طرق خاصة في اظهار شجاعتهم في المارك . فالجندي الذي يود اظهار ولائه يربط ساقه الى ركبته ويستمر في اطلاق النار على اعدائه الى ان يفنيهم او يفنوه . وقد حسبت هذا الكلام خرافة عندما نقل الي اول الامر ، ولكنني في الاخير صدقته تماما عندما شاهدت بنفسي حادثة مماثلة في كهف احد شيوخ حاشد وبكيل كان في خدمة الامام . فقد تصرف بهذه الطريقة طيلة معركة كانت ناثبة بينه وبين آخرين من ابناء قومه ، فقد كان ستة من عبيده يقرمون بشحن بندقياته الست ويقدمونها له ليقوم هو باطلاق نيرانها على اعدائه . وبقي على تلك الحالة حتى تركه في الاخير جنود الامام وانفض عنه عبيده . وبقي يحارب وحده حتى قطعه الرصاص اربا اربا .

ان وصف نيور لنوعية جيش المهدي عباس لا يختلف كثيرا عن الجيش البراني للامام يحيى . فالجندي الذي يهوى الانخراط في الجيش البراني يجب ان يكون من ابناء الرؤساء والعشائر المعتبرة ، لانه لا يقصد بانتسابه الا خوض المعامع والقيام بالحرب في صف الامام ، ودعم حكمة بالطريقة التي يؤمر بها .

اما النظام الذي وضع لهذا الجيش فهو خاص به ولا ينطبق على الجيشين النظامي والدفاعي . وقد تم انتخاب افراده من القبائل النائية والزيدية تقريبا . وحددت مدة بقاء الجندي فيه من سنة الى سنتين ، ثم ابداله بشخص من اهله او قرابته . ولكل مجموعة عريف او شيخ وهو المسئول عنهم .

وقد فتحت فيه شعبة تختص بتسجيل افراده وتقييد رواتبهم وصرفها . والراتب الذي حدد للجندي فيه هي اربعة ريالات الا ربعا ، يخصم منها كل شهر ريال باسم رهينة الشيخ او العريف المنتدب اليه .

وعموما فالجيش البراني اكثر خشونة من الجيشين الاخرين . فافراده دلثا في حالة تحفز للحرب واغانيمهم واهازيجهم هي اغاني واهازيج حرب . كذلك فجندي الجيش البراني في انظار العمال والحكام هو اكثر حظوة عندهم من رفيقه الجندي النظامي ، وذلك لانهم عندما يرسلونه في تنافذ او مأموريات يقوم بارهاب الرعية اكثر من غيره .

شئون الجيش الامامي

بالنسبة لغذاء الجيش فقد رأينا انه قد خصصت أربع كدم للجندي في اليوم . ويقوم الجندي بطبخ الادام البسيط في محل نومه . وهو عبارة عن نصف رطل من اللحم ممزوج بالمرق والحلبة وتجتمع عند اكله جماعة تسمى في عرف الجندية ب (الحدره) . وكان للجيش طاحونة عتيقة من مخلفات الاتراك تقوم بطحن مواد الكدم في قصر غمدان . ويتم الحصول على الحبوب من مخازن الاطعمة (الشونه) التي تودع فيها الحبوب الواردة من الزكاة والضرائب . وكانت تلك المخازن في قصر غمدان أيضا . ثم تصنع الكدم في افران هناك . وبالنسبة لجنود المدفعية والرشاش والخيالة وكتيبة الجيش فكانت تعطى لهم مقررات من الحبوب كل شهر .

اما ملابس الجيش فبعد ان اقترح عليه الضباط الاتراك توحيد الزي في اواخر الثلاثينات، قام الامام بفتح مصنع اولي ومصبغة الى جانبه في قصر غمدان . وخصصت بدلة سنوية لكل فرد . وكانت البدلة تحتوي على سترة وقميص وعمامة صغيرة ومئزر . ولم يكن للجنود احذية . وقد ثمنت البدلة بمبلغ اثني عشر ريالاً وكان على الجنود دفع اثمانها بقطع ريال من الراتب الشهري لمدة عام .

قانون الجيش

كانت هناك شعبة تعرف بشعبة المقام اعضاؤها من الكتاب (الكتبة) الذين انتقاهم الامام واعوانه ، تتلخص اعمالهم في صياغة وتنفيذ ما يهواه المقام (القصر) ، بواسطة امير الجيش ، من أنظمة تخص الجيش . وهذه هي نماذج لمحتويات بعض مواد تلك الانظمة : —

— **مادة الرخصة :** اذا ذهب الجندي في اجازة يقطع راتبه ويضاعف القطع ثلاث مرات ان هو تجاوز المدة المحدودة . واخيرا ينفذ عليه ويعاقب كفيhle .

— **مادة المستثنى :** يقطع راتبه باعتباره غائبا عن الخدمة . ويدفع قيمة العلاج والاكل واجرة الخدمة في مدة نوبة المرض .

— **مادة قطع ادب الفرار من اصحاب الرتب :** يقطع عليه قسط اليوم بأربعة ايام ويجري التنفيذ عليه وعلى كفيhle . وبعد عودته يحبس ويقيد بالحديد .

— **مادة الادب :** ومعناها اذا تاخر الجندي عن التدريب او التعداد المسائي (اليوقلمة) الذي يجري كل يوم للدعاء لجلالة الامام بالحفظ والنصر

- (حفظ الله الامام . نصر الله الامام) . أو يحمل الجندي ثوبا أو يضع على رأسه شيئا من القماش غير تلك الكسوة الرسمية أو يحمل حملا بيده كالعصا ، أو لم يحمل الحربة يقطع منه قسط يوم .
- **مادة ادب المونة :** ومعناها اذا ظلت على الجندي طلقة من العتاد دفع ثمنها البالغ ريالاً ونصف للطلقة الواحدة .
- **مادة ارش الفردة :** ومعناها اذا تمزقت الشملة على الجندي قبل مضي مدتها المينة (التي هي ست سنوات) فيقطع أرشها ادبا لبيت المال .
- **مادة حلق الرأس :** ومعناها ان لم يزل الجندي الشعر من رأسه فيحبس ويقطع راتبه مع قسط الحبس حتى يحلق رأسه ، ويطرد من الجيش (وكان الباعث لادخال هذه المادة هو أن بعض الجنود ذهبوا مرة الى إحدى حمامات صنعاء وغسلوا رؤوسهم — قبل ان تكون حليقه — بتراب الرأس (صابون الفقراء) ، فاشتكى بعض الاعيان بأن الجنود سيوسخون حمامات المدينة بتلك الطريقة .
- **مادة الزامل :** اذا كان الجنود بالقاعات فالتعليمات تقضي بقطع ريال عن كل جندي يتفنى بأغنية أو بالزامل في المرة الاولى . وفي المرة الثانية يقطع ريال مع السجن لمدة اسبوع .
- **مادة ادب تبديل (هكذا) الهواء :** ومعناها ان الجندي الخارج من المستشفى بعد شفائه والذي يكتب له تبديل هواء في بيته (اخذ فترة نقاهة) ، تتفق مع قدر الرشوة التي دفعها في المستشفى ، يقطع راتبه في فترة النقاهة تلك .
- **مادة ادب النقل :** اذا اراد الجندي أن ينتقل الى سرية أو مكان آخر ، فقد يحصل على أمر نقله شريطة قطع ادب النقل وهو معاش شهر أو شهرين أو ثلاثة . واذا كان ذا رتبة فقد يصدر الامر بتنزيلها ولا تقبل منه المراجعة .
- **مادة تضمين اسرة الجندي في ميدان الحرب :** ومعناها ان الجندي الذي قتل في ميدان الحرب ينفذ على اهله عند اشعارهم بموته ليدفعوا ثمن ما فقد من سلاحه وملابسه .
- **مادة تضمين الطلقات الفارغة :** ومعناها ان الجندي الذي يهمل في اثناء الحرب الطلقات الفارغة فانه يضمن ما فقد من الطلقات الصحيحة .

— **مادة منع دخول صنعاء :** وذلك لان الطبقة الارستقراطية اشتكت من دخول الجنود الى المدينة خاصة بعد أن سرق أحد الجنود حذاء لبعض الموسرين من المسجد .

— **مادة طرد الجندي والضابط فيما اذا اشاخ وقصر عن أداء خدمته العسكرية دون مقابل .**

ويعطي المؤلف المجهول للمخطوط/المذكورة هذه القصة الطريفة التي تنم عن عدم وجود سن تقاعد في جيش الامام . والقصة بطلها ضابط اسمه راشد أغا من أبناء صنعاء ، تلقى تعليمه في معاهد الأتراك ، وبقي في جيش الامام منذ أن تكون حتى « بلغ من العمر تسعين سنة » ، وفقد في حواسبه ثلاثا وهو لا يزال مكبا على وظيفته ومداوما على أعماله . ولم تكن له وظيفة غير الحضور الى الثكنة ليجلس على مثلث خشبي قديم هرم مثل صاحبه ، واصلح مئات المرات . يجلس على كل هذا الكرسي ثلاث ساعات صباحا وثلاث ساعات بعد الظهر ، ولا عمل له غير تصعيد الزفرات على الماضي الذهبي الذي عاش خلاله قرير العين موفور الصحة والقوة في ظل الحكم التركي الزاهر . ولم تقف المحنة عند هذا الحد ، فقد خسر بصره ، وشلت ذاكرته ، وأصبح نصف جماد . ومن غرائب الصدف أن البغلة التي كان يركب عليها (كانت توفر للضباط بغال أثناء العروض العسكرية والتنقلات في مأموريات) هربت وكبرت حتى فقدت بصرها ، وأصيب معها السائس المخصص لمرافقتها وخدمتها بضعف البصر . فكان ثالوثا عجيبا فقد الإبصار . وأصبح لا يتحرك الا حركات آلية . وشاء قانون التعويض أن تنهم البغلة الطريق المعتادة التي يمر بها هذا الضابط المنكوب من بيته الى الثكنة وبالعكس . فكانت تقوده والجندي ونفسها جميعا حتى مات الثلاثة في يوم واحد كما جاء في بعض التقارير ، وقيل في ثلاثة أيام متتابة ، وقيل في فترات متناوبة .

الضابط في الجيش الامامي

كانت هناك ثلاثة أنواع من الضباط في الجيش النظامي . وقد ارتبطت فئاتهم بنوعية التدريب الذي أعطي لهم .

فأولا كان هناك ضباط الدور الاولى . وهو الدور الذي تشكل فيه الجيش . وقد نال الضابط الرتبة لانه شغل سرية من الجنود ووصل الى الثكنة وهو عريف هذه السرية . فصدر أمر المقام في أن يكون آمرها . وعلى هذا وضع الضباط الاولون وسميت سرايا باسمائهم . والضباط الاولون لا فرق

ببفهم وبين الجنود من حيث تعليمهم وتدريبهم فيما عدا ابناء الرؤساء منهم . والفرق هو ان الضابط الاول كان يحصل على زيادة اربعة ريالات في مرتبه ويتقلد سيفاً اشتراه من راتبه وبغلة عارية من السرج يركب عليها عند الاستعراض . وعليه شراء السرج ودفع قيمة البغلة اذا وقع عليها طارئ وتضمن البغلة غن طريق هيئة التخمين ويدفع الارش او التضمين .

أما ضباط الدور الثاني فيدخل فيه الضابط الذي تخرج من المدرسة الحربية التي افتتحها كنعان بك ، ثم تعاقب عليها تريباك ومصطفى وصفي باشا . وقد استطاعت هذه المدرسة رغم الصعوبات التي كانت توضع في طريقها ، بايعاز من أمير الجيش بدرجة أساسية ، أن تخرج ضباطاً مدربين يختلفون اختلافاً كبيراً عن ضباط الدور الاول غير المدربين . أما ضباط الدور الثالث فهم خريجو المدرسة الحربية في عهد البعثة العسكرية العراقية التي سنتكلم عنها فيما بعد . وقد تخرج العشرات منهم وكانوا نواة اليقظة ومن روافد انقلاب عام ١٩٤٨ .

وبالنسبة للترقية فكانت عوامل الولاء السياسية للامام والاعتبارات القبلية ورضا أمير الجيش هي المقاييس الأساسية للترقية . وهذا هو هيكل جدول الوظائف العسكرية .

الرتبة	الراتب الشهري بالريال
ملازم ثان درجة ثانية	١٢
ملازم ثان درجة اولى	١٥
ملازم اول درجة ثانية	٢٠
ملازم اول درجة اولى	٢٥
رئيس درجة ثانية	٣٠
رئيس درجة اولى	٣٥
مقدم درجة ثانية	٣٦
مقدم درجة اولى	٤٠
عقيد درجة ثانية	٥٠
عقيد درجة اولى	٦٥
زعيم	٨٠

البعثة اليمنية العسكرية الى العراق

رائنا كيف أن الضباط اليمنيين كانوا يدربون في المدرسة الحربية بصنعاء

تحت اشراف مدرّبين اترك او سورين . وفي عام ١٩٣١ وقع الامام يحي على اول اتفاقية مع دولة عربية هي العراق . ولكون العراق أصبحت مستقلة ، وصارت تمتلك قوة عسكرية اكبر ، وتسهيلات تدريبية افضل ، فقد عرضت عليه استعدادها لتدريب ضباطه . وتم اختيار الطلبة الذين ارسلوا الى بغداد في البعثة الاولى والثانية بواسطة الامام شخصيا على اساس اعتقاده بولائهم السياسي له ، اذ قام باختيارهم من بين طبقة الشعب الذين اعتقد بأن ليس لهم وزن سياسي قبلي ، وتأثير سياسي ، وأنهم من غير المؤهلين للامامة .

وكان من اسباب عرض العراق استعدادها لتدريب الضباط اليمنيين خوفها من التغلغل الايطالي في اليمن نتيجة معاهدة ١٩٢٦ . وكانت هناك مخاوف في اوساط الرأي العام بأن ايطاليا ستهاجم على اليمن بعد الحبشة . ولهذا قامت تركيا في منتصف الثلاثينات بارسال جانب من السلاح الذي كانت تستغني عنه الى اليمن مجانا لتستعين به في تنظيم دفاعها . فاتصلت العراق بالامام يحي واقنعته بارسال بعثات من شباب اليمن الى العراق لطلب العلم في مدارسه ومعاهده على أن تدفع الحكومة العراقية نفقات هذه البعثات .

ووصلت الى بغداد في اواخر سنة ١٩٣٦ بعثة من شباب الضباط اليمنيين تتألف من عشرة اشخاص برئاسة محي الدين العنسي ، والحققت بالدراسة الحربية العراقية . ثم ارسلت بعثة ثانية في العام التالي مكونة من خمسة اشخاص برئاسة زيد عنان . ولما انتهت البعثة الاولى مدة الدراسة بعد سنتين ، طلبت العراق من الامام يحي مد الفترة عاما آخر للعمل مع الجيش العراقي ، ولكن الامام استعجل الحكومة العراقية بحجة الاحتياج اليهم في الجيش الجديد ، الجيش الدفاعي الذي كان قد انشيء عام ١٩٣٦ . ومن بين الذين تم تدريبهم في العراق أحمد الثلايا ومحمد العلفي وحسن العمري وعبد الله السلال وحمود الجائفي ومحمد عامر وأحمد اسحاق وأحمد الانسي ومحمد الزيدي وأحمد المروني وأحمد طاهر ومحمد جمر . وقد استشهد بعضهم فيما بعد في الثورات التي قامت ضد الحكم الامامي .

« وخلال فترة دراستهم العسكرية الحديثة في العراق ، كان من المحتم على هؤلاء الضباط أن يتعرفوا ويحتكوا بالافكار المصرية والتقنية في كثير من المواضيع التي لم يعرفوها في وطنهم ، وذلك في مجالات السياسة والاقتصاد والمعادلة الاجتماعية . لقد تعرفوا على التطورات التكنولوجية والاختراعات الحديثة والخدمات العامة التي تمارسها الحكومات في المجتمعات المتقدمة . وعلى اساس التطورات المقبلة لا يسع المرء الا أن يستنتج بأن الصحة الثقافية التي قاساها هؤلاء الشبان اليمنيون كانت كبيرة » .

وبعد عودتهم وزعوا بين الجيش المظفر والجيش الدفاعي أو في الخدمة الشخصية عند الامام . وسرعان ما بدأ الامام واتباعه يشكون في ولائهم . وبتت الاثاعات بأنهم أباد استعمارية دربت لتحطيم السلاح الامامي . وحددت مرتباتهم بعشرين ريالاً . وبعد مدة قصيرة شتتوا بين وظائف لا يمتون اليها بصلة ، والبعض منهم أرسل للعمل في الحدود الشرقية أو الجنوبية من اليمن . وسرعان ما أمر الامام « بوقف ارسال شبان يمنيين جدد للتدريب العسكري أو المهني . ففي الاساس كان سماح يحي بارسال هؤلاء للدراسة بعيدا عن الوطن اعتقادا منه انه من الاصول أن يكون لديه يمنيون مدربون في الوظائف الهامة في مؤسسته العسكرية بدلا من الاجانب المستجلبين . الا انه سرعان ما غير تفكيره بعد أن رأى ما قام به هؤلاء الطلبة بعد عودتهم من أعمال منوثة ضد نظام حكمه . وبدأ بعضهم يقومون بالفعل بوضع الخطط الجادة لتعديل نظام حكم الامامة .

ولقد رأى الامام أن من السهل عليه التحكم في الاجانب المستجلبين ، والاحتفاظ بهم داخل حدود معينة من النشاط أكثر من اليمنيين المتعلمين في الخارج . وكانت خطة الامام في استجلاب مدرسين من الخارج لمنع انتشار الافكار الثورية بين ضباطه مآلها الفشل ايضا كما سنرى .

البعثة العسكرية العراقية

في عام ١٩٣٧ جددت المعاهدة اليمنية/الاطالية ، وقدمت ايطاليا للامام يحي كثيرا من الهدايا بما في ذلك دبابتين حربييتين ، وعشرين ألف بندقيية ، وأربعة مدافع لمقاومة الطائرات ، وأدوات للمواصلات العسكرية . وزادت مخاوف العراق من ابتلاع ايطاليا لليمن ، وأخبرت الامام بأنها مستعدة لارسال بعثة لتدريب الجيش اليمني . والتزمت برواتب البعثة . فوافق الامام على ذلك ووصلت البعثة في عام ١٩٤٠ مزودة بالبرامج واجهزة تليفونية ولاسلكية وبصرية مع آلاف البدلات العسكرية الشتوية والصيفية .

وكانت البعثة برئاسة العقيد اسماعيل صفوت ، ومكونة من أربعة ضباط واحد عشر ضابط صف . والاربعة الضباط هم الرئيس جمال جميل (المدفعية) ، والرئيس محمد حسن (المخابرة) ، والرئيس عبد القادر الفاطمي (الجيش الدفاعي) ، والملازم أول سيف الدين (الحربية والرشاش) .

وبعد دراسة اوضاع الجيش الامامي تقدم رئيس البعثة بتقرير فيما يجب أن يتم . ومما جاء فيه ضرورة التشكيل من الجيش الدفاعي فوجا يسمى الفوج الاول النموذجي .

وقامت البعثة بتدريب هذا الفوج النموذجي . وحاولت أن تتغلب على الصعوبات التي تعترضها . فمثلا كان من أهداف البعثة أن يتعود الضباط لبس الزي الذي جلبوه معهم مجانا من العراق . وقد أظهر المقام نفوره من السراويل القصيرة ، ثم انتهى بتحريم لبسها وحذر امارة الجيش من أن تتهاون في هذه المسألة الدينية . وتم تدريب الفوج النموذجي الاول وأقيمت حفلة الختام وحضرها الامام والاعيان .

وقام الفوج باجراء الاستعراضات الحديثة وبدأها بنشيد الفوج الجديد الذي مطلعته :

بلادي بلادي فداك دمي وهبت حياتي فدا فاسلمي

وبدأت كل سرية تطبق فنا من فنون القتال بصورة تخلب الالباب . فمن رمي بالبندقية الى قذف بالقنابل الى مبارزة بالسلاح الابيض .

وكان هدف البعثة المراقبة من تخريج الافواج النموذجية هو من أجل توزيع افرادها على الجيش كمدرسين . ولكن يظهر ان ذلك لم يرض العناصر التقليدية في الجيش . فقد بدأت تلك العناصر التقليدية غير المدربة توجه نقدا مريرا على هذا التعليم الجديد — ويصفونه بأنه « ينهك قوة الجندي ، ويجعله عبدا ذليلا خاضعا للامور » ويحطم سلاح الحكومة ، ويكلفها نفقة كبيرة في الكماليات التي استغنى عنها الجيش منذ تشكيله . وقد راجت هذه الدعاية وانتشرت بين افراد الجيش الدفاعي والمظفر . وعندما بلغت مسامع افراد الفوج صاروا يتمرّدون من الواجبات » .

وكانت نهاية الفوج هي الامر بسفره الى تعز ليقوم بتدريب الجيش هناك . وقد استطاع ولي العهد بث الشقاق بين الجنود والضباط . وازداد التنذر على التعليم الجديد ، ومن جملة قيام بعض سكان المدينة بتقليد حركاته في الشوارع . وفي الاخير حول ولي العهد افراده الى منفذين لجمع العشور والضرائب . فأرسلوا في مأموريات ضد الرعية بحجة المطالبة بحقوق بيت المال والبقايا التي بذمتهم . وكما أفسدت المأموريات كثيرا من الجنود قبله ، فقد انحط هذا الفوج « الى درجة استحق أن يسمى بها (الموت جي) بدلا من (النموذجي) » .

وفي المجالات الاخرى استطاعت البعثة أن تدخل التحسينات الكثيرة على أعمال الجيش في المدرسة الحربية والمخابرة والمدفعية والرشاش وقصر السلاح . الا أن تأثير هذه البعثة قد برز فيما بعد في مجال التوعية السياسية .

ويظهر أن الشخص الذي كان له الأثر الأكبر من أفراد هذه البعثة هو الرئيس جمال جميل ، إذ لم يغادر اليمن بعد انقضاء الثلاث سنوات كما فعل بقية أعضاء البعثة ، بل طلب من الإمام شخصياً أن يبقيه كمدرّب للجيش . فقد اشترك عام ١٩٣٦ في الانقلاب العسكري الذي قاده بكر صدقي في العراق ، وربما يكون هو الذي قام بقتل جعفر العسكري رئيس الوزارة العراقية ، ولهذا فقد كان يخشى أن يحاكم بعد عودته إلى العراق . « ومما لا شك فيه أن تعاطفه الثوري قد دعم الأفكار الثورية عند كثير من أولئك الضباط اليمنيين الذين تدربوا في بغداد . كذلك يمكن الافتراض بأن كثيراً من طلبته الذين درّبهم قد تلقوا أفكارهم الثورية المشابهة منه » . أما بقية أفراد البعثة فيظهر أن خدماتهم برزت أكثر في تطوير الجيش اليمني ذاته . فمثلاً نرى أن البعثة قد طبعت خلال فترتها القصيرة في صنعاء ثلاثة كتب عسكرية هي (رشاشات لويش) لمحمد حسن و (الهجوم) و (الدفاع) لاسماعيل صفوت .

وبالنسبة للرئيس محمد حسن فقد قام بتأليف كتاب عن ملاحظاته في اليمن خلال فترة انتدابه أسماه (قلب اليمن) طبع عام ١٩٤٧ أي قبل عام من انقلاب ١٩٤٨ . ومن الكتاب يظهر بوضوح تعاطفه الكبير وأعجابه بحكم الإمام . وعندما تعرض لذكر معارضة الأحرار لحكمه الأوتوقراطي قال ما نصه :

« ولا معارضة في اليمن لا ظاهرة ولا سرية إلا كلمات طائشة ينفثها هنا وهناك رجال لا قيمة لهم في المجتمع اليمني من الذين هربوا إلى خارج اليمن . وهؤلاء لا أهمية لهم لأنهم انساقوا بحكم الدعايات الأجنبية وتهوروا بدون أن يسندهم أحد من القبائل أو المتنفذين ، ولا فلاح لهم مادياً ومعنوياً . وقد سيقوا بدوافع خارجية من قبل الدول الأخرى لمطامعها في اليمن » .

وكيفما كان الأمر فإن أحد أفراد هذه البعثة العسكرية العراقية هو الرئيس جمال جميل كان من المشاركين القياديين في ثورة ١٩٤٨ ، فهو الذي قام بقتل سيفي الإسلام المحسن والحسين . وكان أول من عينه زعماء الانقلاب قائداً عاماً للجيش اليمني ومديراً للأمن العام . ولما انتصر الإمام أحمد كانت رأسه من أوائل الرؤوس التي قطعها سيف الجلاد وقدمها المناصلون قرباناً للثورة اليمنية .

استخدامات الجيش الامامي

يمكننا أن نلخص أعمال الجيش الامامي بثمانية أمور هي الحروب ، والخطا ، والتفان ، والمأمورية ، وحراسة الإمام وسيوف الإسلام والأعمال ، والاستعراضات ، والجمارك ، والأعمال الأخرى المتعلقة بالسلك والبريد الخ .

فبالنسبة للحروب كانت داخلية وخارجية . وقد رأينا أن الجزء الاعظم كان موجها ضد القبائل اليمنية من أجل اخضاعها لحكم الامام ، وأن تلك الحروب الداخلية استغرقت تقريبا فترة الخمسة عشر عاما الاولى من حكم يحيى . أما حروبه الخارجية في بداية الثلاثينات ضد كل من الانجليز والسعوديين فقد كانت قصيرة ، وخرج منها جيشه مهزوما مقهورا . وعلى كل حال فقد كانت حروب هذا الجيش على النمط التقليدي ، ولم يكن قادته الامراء يفقهون شيئا عن الاستراتيجية الحربية والتكتيكات الحديثة . كما أن الضبط والربط داخل صفوف الجيش وقت المعارك كان مفقودا . وكان الجيش في حروبه يعتمد على الغزوات الفجائية التي يشنها عادة على اعدائه في الساعات المبكرة من الصباح . فاذا وجد العدو مستعدا رجع متقهقرا ، واذا داهمه على غفلة اكتفى بتحقيق اهدافه المحددة وعاد مسرعا الى قواعده . وهذا التكتيك التقليدي لا يختلف عن حروب الصحراء من كروفر . وكل الجيوش الامامية الثلاثة قد اشتركت في كل من حروبه الداخلية والخارجية .

أما الخطاط والتنافيذ فهما كلمتان استحدثتهما المقام لاذلال الامة ومعنى الخطاط الاجمالي الاباحة المطلقة للجيش الذي بها يتحكم في الرعايا ويفرض سلطته عليهم بصورة تجعل الجندي يتصرف في منزل المواطن وكأنه رب الاسرة وسيدها المطاع . أما كيفية الخطاط فانه عندما تحدث الطوارئ كأن تعلن القبيلة الخروج عن طاعة الامام وتشهر حربها عليه ، أو تكون متهمه بذلك بدسيسة ، فالجيش الذي يعين لاجلها يغادر مجرّدا من التموين والاعاشة . ويتخطط الجيش في طريقه حتى يصل الى القبيلة المجاورة لتلك القبيلة الشائنة . وهنا يحط رحاله في منازل هذه القبيلة المسالمة ، ويحتل بيوتها وعلى أهلها تموين الجيش بما يحتاجه . واذا شعر القائد بتبرم أو سخط من هذه القبيلة أنزل بها من العقاب ما يجعلها عبرة لغيرها . أما الجنود فانهم بما نشأوا عليه من شراسة وحقد وحرمان فانك تجدهم يعيثون بحقوق هؤلاء الذين لم يكن لهم ذنب سوى جوارهم للعشيرة المتمردة أو المتهمة بالتمرد بصورة تنزع لها النفوس وتنكرها الاخلاق الكريمة ، وتغضب لها شريعة الوحوش . وقد تبلغ النكاية الى حد أن يتطلعوا الى عورات النساء ومطاردتهن واجبارهن في بعض الاوقات على الفاحشة . ولا بد لصاحب البيت أن يطلق لهم الحرية للاطلاع على كل ما يحويه البيت ، ويتفاضى عن اقتراف اثناع الجرائم التي تلحق بشرفه والا لحوا جسمه بالسياط .

أما التنافيد فمعناه الاوامر المطلقة من الامام الى جميع العمال والحكام

والمكلفين بحقوق الامام والسيوف والاسياد في انفاذ الجنود على الرعايا ،
وبقائهم حتى يجمعوا الضرائب الكبيرة والحقوق الكثيرة المزعومة . وقد يبلغ
اللؤم في نفوس بعضهم كالعكفة في أن يصروا على أن يستقبلهم الرعايا بالطبول
والمزامير . وبعضهم لا يكتفي بهذا بل يبلغ به التعنت والعصب في أن يشترط على
المنفذ عليه بتوسيع باب بيته حتى يدخل الدار والبندقية بيديه في خط أفقي .
وبعد الغداء يقومون بمضغ القات ويحيط بهم بعض المغنيين والمصوتين من رجال
ونساء القرية، وصاحب البيت وأولاده واقفون للخدمة . ثم تمر الشهور وهم على
هذه الحالة ينتقلون من قرية الى قرية اخرى . والحقوق التي تجمع تحمل
على دواب العشائر المسخرة .

وكانت هناك وسائل كثيرة للتنفيذ ومن أنواعها :

— **الاحتساب :** ومعناها أن يشجع العامل أو الحاكم بعض اشرار الرعية
للاحتساب على الشيخ الفلاني أو العاقل الفلاني بدعوى أنه لم يسلم حقوق
بيت المال للسنة الفلانية . فينفذ العساكر على العزلة أو القرية .

— **التخمين :** ومعناها تقدير غلة السنة . فعندما يحين الوقت يخرج المخمن
وبصحبه عشرات من الجنود لتنفيذهم وبقائهم في مساكن الرعايا . وعلى
الرعايا توفير الاعاشة ودفع اجرة المخمين والعسكر المتنفذين . فان طغى
المخمن في تقدير المبالغ المطلوبة واشتكى الاهلون ، عززه العامل باخر وفصيلة
من الجنود ويسمى هذا بالكاشف ، فان قرر ما قرره الاول عزز بكاشف
الكاشف . وعلى الرعايا المساكين دفع الثمن في كل حالة .

— **القبض :** ومعناها أن يعين العامل قياضين لقبض الضرائب . ويخرج
القباضون ويصحبهم عدد من الجنود .

وهناك أنواع اخرى من التنافيز كالتنفيذ على الرعايا لاصلاح طرق
سيارات أو بغال الاسياد ، تنفيذا على الاوقاف — وقد سلبت كثير من اراضي
المواطنين بحجة أنها موقوفة — وتنفيذ على زكاة الباطنية (الحلي
والجوهرات) وعلى المخضرات والمواشي والبن ومطاردة القروء . . والويل
لاصحاب القرية اذا هم لم يقابلوا الجندي المنفذ بالاهتمام اللازم . فعندئذ يقوم
باطلاق رصاصة في الهواء (وتسمى تضميرة) . ويعود في الحال التي العامل
ويدعي أنهم ضروه . فترسل ثلة من الجنود لمعاقبتهم .

ان وجود التنافيز بهذه الاشكال المتنوعة كانت تجعل الجنود والسرايا
يتسابقون الى شراء أوامر التنافيز من الحكام والعمال بقيمة (رشوة) تتفاوت

بحسب خصب المحل وغناه ونوعية التنفيذ . وكانت هناك في المقام والاولوية والقضوات شعب خاصة للتنفيذ وتوزيع المأموريات . ان اجرة التنفيذ الذي يحصل عليه الجندي المنفذ كانت تساوي مرتب عدة أشهر من راتبه . كما ان الغذاء الذي كان يأكله عند الرعايا كان لا يحلم بمثله في ثكنات معسكراته . وبسبب التنافذ هذه استطاع الاثمة والحكام ايجاد العداء السافر بين الجيش والشعب ، واشغال المعسكر وتوزيع قواهم في استلاب اقواتهم من الرعايا بدلا من بقائهم في ثكناتهم . والواقع ان ما كان يتعرض له افراد الجيش من شظف في العيش ، ومعاملة قاسية لهم من قبل الاثمة والعمال * والحكام * والقواد كان ينعكس في معاملاتهم الفجة الغليظة للرعايا اثناء التنافذ .

وكان للامام حرسه الخاص الذي يسمى ب « العكفة » ، ويبلغ عدده حوالي ثلاثة الاف عكفي . وكان يتم اختيار العكفة من بين مختلف القطاعات في الجيش باحدى طريقتين ، فاما ان الامام نفسه كان يقوم باختيار الاشخاص الذين يريدتهم بعد ان يعرض الجيش كاملا امامه بحيث يلقي نظرات فاحصة على جميع افرادهم ، ويختار اولئك الذين يناسبون ذوقه ، أو أن اعوانه يقومون نيابة عنه بالاختيار له . وكان لكل أمير لواء أو عامل ايضا ثلة من الجنود تقوم بحراسته ، وتستخدم في المأموريات والتنفيذ . وتسمى مثل هذه الثلة بالكتيبة . وكان الامام يحى يأمر بأن لا تكون كتائب العمال والحكام كبيرة ، وذلك خوفا من أن يتجرّد أحد منهم ضده . وكان من الاعمال الرئيسية للعكفة ولكتائب العمال القيام بالاستعراضات الاسبوعية للامام أو العامل .. وهذا هو وصف ادجار أو بلانس لاستعراض العكفة الاسبوعي في صنعاء .

« يقوم الامام باستعراض حرس القصر مرة كل اسبوع . وهذا الاستعراض في نظر المشاهدين الاوربيين المشدوهين هو اقرب الى الاوبرا الكوميدية منه الى العرض العسكري ، لان كل جماعة من المعسكر تقوم بالاستعراض حسبما اتفق عليه وبالمالبس التي تهواها . ومعظم المستعرضين يسرون حفاة الاقدام بما في ذلك الضباط الذين يركب معظمهم الخيول أو البغال أو الحمير . والجميع يسرون باعتزاز وافتخار ويستقبلهم المشاهدون استقبالا حماسيا . وتظهر في مثل هذه الاستعراضات مختلف انواع الاسلحة تقريبا من البندقيات الحديثة والمدافع الرشاشة الى بندقية المسكيت قديمة الطراز . وبعض الجنود يكتفي بحمل الرماح أو السيوف أو الجنابي . وهناك في العرض الاسبوعي دائما مدفعان أو ثلاثة من مدافع الميدان التركية القديمة . ويحضر الامام هذا العرض في عربته المترنحة التي تجرها الخيول » .

* كانت البلاد ايام الامام يحي تقسم اداريا الى الوية (اي محافظات) ، والاولوية الى قضوات (مفرد قضاء اي مديرية) . وكان يوضع على كل قضاء مسئولان رئيسيان أحدهما اداري ويسمى العامل (جمعه عمال) والاخر شرعي ويسمى حاكم (جمعه حكام) . ولا تزال هذه التسميات والتسميات تتبع تقريبا في الجمهورية العربية اليمنية .

هذا وقد كانت هناك مناسبات كبيرة أخرى يتم الاحتفال بها ، وبعدها يقوم جيش الامام بعرض عسكري امامه . وهذا هو وصف الكاتب الايطالي سلفاتور ابونتي لاستعراض آخر جمعة من رمضان في حوالي عام ١٩٣٧ .. يقول ابونتي :

« لما يوم الجمعة الاخيرة من رمضان فيحتفل به احتفالا عظيما منقطع النظير . ففي ذلك اليوم يخرج الامام في موكب فخم الى المسجد الكبير لاداء الصلاة وعندئذ تغلق ابواب المدينة كلها . وعندما تخرج العربية التي يركبها الملك والتي يجرها جوادان مطهمان من جبال الجوف الاصلية من فناء المقام للتوجه الى المسجد الجامع تسمع اصوات حادة صاخبة من البوري تجيب عليها اصوات اخرى تماثلها من رجال الحرس الذين يقفون فوق أبراج سور المدينة ، ويخف بالعربية كبار الموظفين وذوو المقامات وعلية القوم على جيادهم ، وعدد كبير من الضباط والمساکر والسياس ، ويقودها حوذيان يلبس كل منهما عمامة حمراء . كما يقف رجلا مسلحان من رجال الحرس فوق المقعد الخلفي منها وفي داخلها يجلس اثنان من الامراء يرتديان افخم الملابس في مواجهة الامام الذي يتصدر شخصه في وسط المقعد .

وتزدهم الجماهير ويتكاثر عددها حتى تصبح كأنها البحر الزاخر ، وهي خليط من كل شكل ومن كل لون ومن كل صنف من شيب وشبان وبنين وبنات واطفال ، وتنطلق من افواههم صيحات عالية هنا وهناك .

وقبل خروج الملك تبدأ الجهات المحيطة بالمقام في منظر فنان . فالموظفون والكتاب الموميون يهرولون زرافات ووحدانا ويتجمعون حيث يجلسون القرفصاء فوق حائط السور ، ويجتمع حولهم كل من له حاجة وكل صاحب مظلمة يريد عرضها على الامام ، فتكتب المرائض والاستراحامات على قصاصات من الورق ، ويرفع بعض المنظمين الصوت عاليا بظلاماتهم وشكاواهم . ويصبح احد الجنود قائلا :

« لقد مضت ثلاثة اشهر لم يدفع لي مرتبي . فهل هناك ظلم اشد من هذا ؟ وفي مكان آخر يقف جمهور من رجال القبائل كلهم يرتدون ملابس من جلود الاغنام ، وقد جاعوا من مناطقهم البعيدة يلتمسون انصافهم من عامل قضائهم الذي يسرف في استعمال سلطته .

بعد ذلك يخرج الموكب الملكي من المقام ، فيختلط المنظمون بعضهم ببعض ، وهم يصيحون ويصرخون في وجوه عساكر الحرس والفرسان ، ولما يقترب هؤلاء منهم يقدفون باوراقهم التي تتضمن شكاياتهم والتي يلتقطها الامام بيديه بحذر غريب وهي متناثرة في الهواء . ويعود الموكب الى التالف ثانية بعد صلاة الجامع للعودة الى المقام ، حيث يجري

الاستعراض العسكري العتيق تحت جدرانه وتدخل العربية الملكية بين جناحين من الجماهير حتى تقف في وسط فناءه وينزل منها الامام بمساعدة الامراء ويجتمع حوله السادة الذين ينحنون امامه لتقبيل ركبته .

ويجلس الامام فوق مقعد اخضر اللون قليل الارتفاع وضع على مصطبة . واول شيء رايناه في العرض هو فرقة الموسيقى العسكرية ومما لاحظناه ان كل الآلات التي في ايدي رجالها ان هي الا طبول وابواق ولا شيء غير ذلك . ويدير هذه الفرقة شيخ تركي متقدم في السن تدن له اليمن بنشيدها الوطني المفرح . وعندما تصطف فرقة الموسيقى امام شرفة الامام على الجانب الاخر من الطريق تتقدم فرقة من الجند تحمل العلم اليمني الاحمر الذي رسم عليه سيف وخمس نجوم بيضاء ، ثم فرقة بعد اخرى في صفوف متتالية ينظم في كل صف منها اربعة من الجنود ، ويسير في المقدمة المشاة حاملين بنادقهم على اكتافهم ، ومن خلفهم فرقة مدافع المترايوزات وفي اثرها المدفعية المكونة من بطارية ميدان ومن قسم من بطارية جبلية تجرها البغال ، ويسبق هؤلاء الجنود ضباطهم ومعظمهم من الضباط او صف الضباط الاتراك ، وعندما كانت فرق الجيش تمر امام الامام كانت تؤدي له التحية على الطريقة الاوربية » .

واخيرا كان الجيش الامامي يستخدم في الجمارك ونقل البريد وتصليح وصيانة اعمدة السلك التي خلفها الاتراك لليمن . فقد كانت تسلط شراخ من الجيش باسم المأمورية على نقاط الجمارك لتتولى الكشف على ما يرد اليها وتفتيش انواع البضائع ، وكان منظرا مألوفاً ان يشاهد الجنود قرب المراكز الجمركية وهم يطاردون الرعايا في الجبال باسم سوقهم الى مراكز الجمارك حتى يتأكدوا من عدم وجود التهريب ، او يقومون بمداومة اسواق القبائل والقضوات التي تقام في الاسبوع بحجة تحصيل العائدات للبلدية . كما يقوم الجيش بربط الخطوط وبناء الاعمدة السلكية في موسم الامطار وذلك عندما تتعرض للقطع أو السقوط من جراء الرياح والعواصف . وبالطبع فقد كانت تلك الاعمدة تغطي مئات الاميال من أجل ربط المدن اليمنية الرئيسية بعضها ببعض . وكانت آخر اعمال الجيش تكليف بعضهم حمل البريد بين المدن اليمنية .

اسلحة الجيش الامامي

عندما زار امين الريحاني اليمن في سنة ١٩٢٣ — سجل الملاحظة التالية حول اسلحة جيش الامام الجديد الذي كان لا يزال في بداية التكوين : — « اما السلاح فعند الامام من البنادق انواعها . وقد قيل ان عند الامام (٤٠٠.٠٠٠) بندقية ولكن منها ما هو غير صالح اليوم كالطليانية القديمة . وعنده (٢٠٠) من المدافع المتنوعة منها الرشاشة والجبلية . وقد رأيت يوم العرض فرقة كاملة تامة بعدتها واجزائها ، بنوبتها ، بسريتها ، بمشاتها ، بمدفيعيتها . وكان بعض الترك يركبون البغال وقد علموا ابن اليمن ان يخطو خطوة الجندي الالماني الرسمية مشية الاوز ، في حين أن الفرسان يلعبون بالسيف والرمح وخیلهم ترقص على نغمات الموسيقى . وبعض مدافع الامام مجلوب وبعضها مغنوم وبعضها مشتري من رجال عسير . وهناك معمل الفشك

(خرطوش) في قصر غمدان يديره جورجي النمساوي يشتغل دائما فينتج أربعة صناديق كل يوم ، في الصندوق الواحد الف فشكة (يستجلبون الرصاص ويستعملون ملح البارود المحلي) .

وقد قيل لنا ان الامام يستطيع ان يجند (٣٠٠.٠٠٠) من المجاهدين فيما عدا الجيش النظامي (الذي كان عدده في ذلك الوقت ٥٠٠٠) ، على ان هذا القول لا يخلو من المبالغة .

وبعد ان تم تكوين الثلاثة الجيوش الامامية كما سبق يمكننا تقسيم اسلحتها على الشكل التالي : —

(١) **البندقية** : وهي على مختلف انواعها ومن اسمائها الصابة ، والماوزر ، والسبك ، والحميذي الطويل والقصير ، البشلي ، والجرمني ، والفتيني ، والانجليزي .

(٢) **المدافع** : تحتوي على بطاريات خفيفة وثقيلة جبلية وصحراوية ومن اسمائها المانتل ، والجنبر ، والهاوان ، وعادي جبل (وكانوا يلقبونه بالباسباس) ، والابوس ، والسريع العثماني ، والسريع المتوكلي .

(٣) **الرشاش** : يحتوي على انواع اللويز ، والكون ، والمانسيم ، والهودجكيز . ومنها الخفيف والثقيل والبطيء والسريع .

وبالنسبة لمصادر تسليح الجيش فقد كانت هناك أربعة مصادر أساسية هي أولا مخلفات الجيش التركي . فبعد استسلام الجيش التركي كان من جملة شروط الاستسلام تسليم جميع الاسلحة التي يملكونها بما في ذلك الكميات التي كانت مخزونة في المستودعات . وقد أغنت هذه الاسلحة الامام اول الامر ، واستطاع بها ان يجمع القبائل المتمردة ويفنم جميع ما يملكونه من العتاد ، خاصة الاسلحة كانت متوفرة عند القبائل نتيجة تجارة تهريب السلاح التي كانت مزدهرة في اليمن منذ زمن قديم .

وأما المصدر الثاني فقد وصلت الى الحكومة المتوكلية بعد عشرين عاما من حكمها بعض قوائم ونموذجات للأسلحة أرسلتها بعض الشركات النمساوية اليهودية بواسطة وكيلها القائم الصهيوني (اسرائيل الصبري) من يهود اليمن . وقد اشترى الامام كميات كبيرة من البنادق والرشاشات والمدافع بمئات الالاف من الجنيهات الذهبية بواسطة الصبري الذي سافر خصيصا الى اوربا لعقد الصفقة هناك . وفي هذا المجال يحاول سلفاتور ابونتي الايطالي ان ينفي ادعاءات البريطانيين حول الاستعدادات الحربية التي كان يقوم بها

الامام يحي في منتصف الثلاثينات ، وذلك لان الانجليز كانوا يهتمون ايطاليا بأنها كانت وراء العملية . يقول ابونتي : « ومن الجراة والمبالغة بأن الجيش اليمني يملك آلات حربية فنية ذات قيمة تذكر . وقد حدث في وقت أن نشرت الصحافة الاوروبية اخبارا جمعتها من مصادر عربية عن استعدادات حربية هائلة في اليمن ، ولكن ليس هناك ما يبرر ما قيل .. وكل ما شوهد في الاوقات الاخيرة من الآلات الحربية الواردة الى اليمن والتي افرغت من السفن في ثغر الحديد لا يزيد عن العشرين أو الثلاثين دبابة ، من المحتمل كثيرا أن يهمل استعمالها في اقرب وقت نظرا لحدّات الطرق اليمينية السيئة ولقلة مهارة السائقين الوطنيين ، وليس لدينا الا القليل اذا ما أردنا التحدث عن الفرق الميكانيكية في الجيش اليمني » .

وأما المصدر الثالث فقد تم بواسطة رجل سوري اسمه زكي كرام . ويظهر أن الارباح التي جناها الصبيري قد جذبت هذا الوسيط السوري الجديد . وقد وصلت الكميات المشتراة وكان نوع هذا السلاح الماني وقد سمي باسم مورده (زكي كرام) .

ومنذ أن عقد الامام اتفاقيته مع ايطاليا عام ١٩٢٦ وحتى انهزامها في الحرب العالمية الثانية فقد كانت تكون موردا رئيسا رابعا لحاجة الامام من الاسلحة . وقد سبق أن رأينا أن ايطاليا قدمت للامام هدية كبيرة من الاسلحة عند تجديد اتفاقية الصداقة عام ١٩٣٦ وكان من ضمنها (٢٠٠.٠٠٠) بندقية . كما أن الايطاليين كانوا أول من أدخل الطائرات الى أسلحة الجيش الامامي كما سنرى .

وبالنسبة لحفظ اسلحة الجيش فقد كانت مخازنه توجد في قصر غمدان ، وفي كهوف جبل نقم وشهارة وحجة وأماكن أخرى . وقد تعرضت كثير من تلك الاسلحة للصدأ والتلف بسبب رطوبة الأماكن التي كانت تحفظ فيها وإضا لان معظم القائمين عليها كانوا لا يفهمون طرق صيانتها . فجلهم كانوا من رجال الفقه . وبعد أن جاءت البعثة العسكرية العراقية قامت بمجهودات كبيرة في إصلاح ما استطاعت إصلاحه . وكيفما كان الامر فقد وظف الامام مهندسا يهوديا نمساويا اسمه (ونسكر) براتب شهري قدره (٧٠٠) ريال وذلك لغرض إصلاح ما تلف منها . وقد حاول صنع مدفع فأنفجر بعد الطلقة الاولى وقتل عددا من الجنود الذين كانوا حوله . وكان يساعد هذا المهندس الميكانيكي ابنه الذي كان يتقاضى راتبا مقداره (٤٠٠) ريال وقد بعثه الامام الى أوروبا ليعقد له صفقة اسلحة هناك ، فأخذ معه (٢٥٠.٠٠٠) جنيه ذهبي ولم يعد . وقد

استجلب الامام خبيرا فنيا في الاسلحة هو محمد سعيد السكاف من الاسكندرية ، ولكنه راح ضحية منافسة هذين اليهوديين فحبس ثم مات .

ورشة السلاح :

بعد اتفاقية ١٩٢٦ اشترى الامام من ايطاليا ورشة للسلاح . فوصلت الماكينات الى الحديدية ، ومنها اصدر الامام أمرا بأن تنقل بمساعدة الرعية من الميناء الى صنعاء . وقد استغرقت عملية النقل مدة طويلة بسبب طبيعة الطريق التي كانت موجودة في ذلك الحين . وكانت تلك الماكينات تحتوي على محرك يشتغل بالفحم وماكينه لاجراج طلقات الرصاص الذي سمي فيما بعد (الورشي) . وبالطبع فإن هذه الورشة الجديدة هي أفضل من المعمل القديم لصناعة الفشك (تعبئة الرصاص) الذي كان يديره جورجي النمساوي كما سبق وذكر لنا ذلك أمين الريحاني . كما احتوت الورشة ايضا على ماكينات للحدادة والتجارة .

وقد وظف الامام لهذه الورشة عشرين مهندسا ايطاليا وكان راتب الواحد منهم (١٠٠٠) ريال في الشهر . أما عمال الورشة المحليين فقد بلغوا حوالي (٢٠٠) شخص من اصحاب الحرف البسيطة وبعض من تعلم مبادئ الميكانيك في العهد التركي . وتراوحت مرتباتهم الشهرية بين ريالين وعشرة ريالات . وعلى رأس الجميع عين مدير عبيد الامام رئيسا للورشة . وقد اصدر الامام أوامره بتزويد الجنود من هذا العتاد الورشي (كل شيء من الخارج الا بارود الطلقة النارية) . وبجانب صناعة خرطوش البنادق ، فقد كانت الورشة تقوم ايضا بتصليح السلاح بأنواعه ، وبعض عربات النقل . وقد استفاد افراد العائلة المالكة من هذه الورشة ، فانها كانت تصنع للامراء وسيوف الاسلام بعض التحف والزهريرات ومجامر العود والبخور .

بعثة الطيران

وبعد عقد الاتفاقية اليمنية/الايطالية ايضا نجد أن الحكومة الإيطالية تقترح على الامام ارسال بعثة يمنية لتعلم فن الطيران في ايطاليا . واختار بعثة مكونة من عشرة اشخاص من الجيش والمدرسة الحربية وأرسل بهم الى ايطاليا مقابل دفع نصف تكاليف التدريب . وبعد الانتهاء من الدورة التدريبية التي دامت ثلاثة أعوام عاد المتدربون الى أرض الوطن . وكان أول عمل قاموا به هو مطالبة الامام بفتح مدرسة للطيران في صنعاء .

واقيم أول استعراض للطيران في صنعاء حضره الامام واعيان المدينة .
وركب الطياران اليمنيان أحمد الكبسي وأحمد السراجي احدى الطائرتين
الالمانيتين اللتين كانتا مع الامام .

ولكن عند تحليقها فوق القسم الجنوبي من صنعاء انفجرت الطائرة بمن
فيها وسقطت على الارض وتحطمت . وكانت النتيجة الفاء مشروع الطيران
نهائيا ، وفرق بقية البعثة المدربين بين ادارة البريد وبعض المصالح الحكومية
الآخري . وعلى الاقل كانت عاقبة أحدهم أنه جن وأصبح متسكما في شوارع
تعز . فعندما لاحظ ولي العهد أن أحمد العلفي كان يتحدث كثيرا عن الأمة
الايطالية ورقبها وبخه ثم ادخله الى بعض اقبية السرية وأطلق عليه كمية من
الثعابين والحيات غير السامة بقصد المداعبة والتندر .. فخرج المسكين وقد
جن عقله ، وبعدها أصبح يتسكع في الشوارع الضيقة بدلا من التحليق في
الاجواء الفسيحة كما كان يأمل ويحلم هو وبقية زملائه الطيارين . وعندما زار
أحد الرحالة صنعاء في ١٩٣٦ قال : « أما الطيران فقد أصبح اليوم لا
وجود له في اليمن .. فمئذ أن سقطت احدى الطيارات الالمانية على احدى
الهضبات في ضواحي العاصمة في اثناء حفلة طيران استعراضية لم يشأ الامام
أن يسمع كلمة واحدة من أحد عن الطيران في بلاده » .

الهوامش والمصادر :

- (١) مخطوط مجهول الاسم والمؤلف ، تقع في ست ملازم في حجم مذكرات الجيب المتوسطة وتتكلم عن
جيش الامام يحي ، ويظهر أن كاتبها من كبار الاحرار وأنها قد قدمت في الاصل كمذكرة للجامعة
العربية بعد عام ١٩٥٥ .
- (٢) Naval intelligence Division. **Western Arabia the Red. sea.** (٢)
(Restricted). June 1946.
- (٣) Niebuhr, Carsten. **Travels through Arabia and other** (٣)
Countries in the East. Trans by Roberts Heron. 2 Vols 1975.
- (٤) أمين محمد سعيد. **ملوك المسلمين المعاصرين ودولهم** . القاهرة ، عيسى البابي الحلبي ،
جزءان ١٩٣٣ .
- (٥) Wanner, M. W. **Modern Yemen (1918 - 1966).** Baltimore, The (٥)
Johns Hopkins Press, 1967).
- (٦) مجهول . **اليمن المنهوبة المكتوبة** . يمتد أن المؤلف هو الاستاذ أحمد محمد نعمان .
- (٧) محمد حسن . **قلب اليمن** . بغداد . دار المعارف ، ١٩٤٧ .

O' Ballance, Edger. **The War in the Yemen.** Faber and Faber, (A)
London 1971.

(٩) سلفاتور ابونتي . مملكة الامام يحيى . رحلة في بلاد العربية السعيدة . ترجمة طه لوزي .
القاهرة ، مطبعة السمادة ١٩٤٧ . طه . ثانيا باسم العربية السعيدة ١٩٦٢ .

(١٠) أمين الريحاني . ملوك العرب . الجزء الاول . بيروت ، ١٩٢٤ .

(١١) عبد الكريم مظهر . كتيبة الحكمة من سيرة امام الامة أمير المؤمنين وسيد المسلمين ودرة تساج
الائمة الهادين مولانا الامام المتوكل على الله المعين أبي أحمد يحيى بن الامام المتصور بالله رب
العالمين محمد بن يحيى حميد الدين ضاعف الله أيامه وادام سلطانه وسلامه . جمع الفقير الى
عفو باريه وغفرانه احقر خدامه عبد الكريم بن أحمد بن عبد الله مطهر ستر الله عيوبه ومحي
ذنوبه وملا من ذلال العفو ذنوبه امين . (مخطوط بالجامع الكبير بصنعاء) .

(١٢) يحيى علي الحداد . السيرة الشريفة سيرة الامام يحيى .

(مخطوط بالجامع الكبير بصنعاء) .

(١٣) نزيه مؤيد المظم . رحلة في بلاد العربية السعيدة من مصر الى صنعاء ، سبا ، ومارب .
(جزءان) . القاهرة ، مطبعة الحلبي ، ١٩٣٧ .

(١٤) عبد الله بن عبد الوهاب المجاهد الشماخي . اليمن : الانسان والحضارة . القاهرة ، علم
الكتب ، ١٩٧٢ .

(١٥) عبد الله الجرافي . المختطف من تاريخ اليمن . ميسى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٥١ .

(١٦) عبد القادر حمزة . ليلتان في اليمن . القاهرة ، مطبعة دار البلاغ ، ١٩٤٨ .

(١٧) راشد البراوي . اليمن والانقلاب الاخير . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٤٨ .

(١٨) Ingrams, Harold. **The Yemen: Imams, Rulers, and Revolu-**
tions. John Murray, Rulers, 1963.



لشؤون فلسطينية

مجلة شهرية فكرية لمعالجة أحداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة
تصدر عن مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس ماسح

تكتب فيها مجموعة من كبار الكتاب والمختصين في القضية الفلسطينية

صدر العدد الاول في مارس ١٩٧١

٢٤. صفحة من القطع الكبير تقدم مقالات ودراسات وبحوثا في الشؤون السياسية والثقافية
والمسكوية والاقتصادية والاجتماعية للقضية الفلسطينية وللشعب الفلسطيني وللصهيونية
واسرائيل ، الى جانب الابواب الشهرية الثابتة التي تسجل الاحداث والانشـاطات
الفلسطينية المختلفة .

نمن العدد : ٣١/٤ ل.ل. في لبنان ، ٤ ل.ل.س. في سوريا ، ٥٠ فلسا في الكويت والعراق .
٤١/٤ ل.ل. في سائر الاقطار العربية . الاشتراك السنوي (بريد جوي) :
٤٠ ل.ل. في لبنان ، ٥٠ ل.ل.س. في سوريا ، ٥٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ،
٦٥ ل.ل. في اوروبا وافريقيا ، ٩٠ ل.ل. في امريكا واسنرالبا واسنبا .
الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٥٠ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (مدفرع من السادات) ، راس بيروت ،
بيروت - لبنان ، ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ،
مرقيا : مـأبحاث ، بيروت .